الموت الجديد

في كتاب كان يقرأ
« انني ابن فرنسا »
سأل الطفل اباه : كيف هذا يا أبي ..؟
اطرق الوالد يرنو لجبال المغرب
كان يصغى للرصاص الاجنبي
ودموع في مآقيه ترقرق
ـ كيف هذا يا أبي ؟
ـ يا صغيري ..
يا شهابا في الدياجير يحدق
هل تصدق ؟..
عندما تقرأ عن زنجية تنجب طفلا ..
« أزرق العينين اسمر ،
في كهوف الغاب ـ والجاني قدر ؟
هل تصدق ؟
انها معجزة لا تتحقق ..
في سوى ارض العبيد
حيث يلهو في جحور الليل ذئب ازرق العينين اشقر،
انها النار التي تصهر شعبا من حديد ..
فاذا الشعب قبور من جليد ،
انها الموت الفرنسي الجديد .
غن ابني :
« انها الموت الفرنسي الجديد »
ـ يا ابي .. مهلا الا تشرح لي معنى النشيد؟
ـ « يا ابي » .. ثم انتفض
حينما دوى بأذنيه هدير .
ماجت الحيرة في الوجه الصغير
ـ « يا ابي » .. واهتز مصباح هزيل
ـ احذري .. الجدران يا امي تميـل ..
ـ « احذري » ...
لكن سقف الغرفة انهار .. تهاوى
غاصت الصيحة في اوحال دم .
وعلى ضوء الحمم
ـ وكتاب لم يزل في يده ـ
لمح الطفل وجوه المجرمين ،
ثم لا شيء .. فقد حط الظلام
العيون انطفأت
الدموع اختنقت تحت التراب
شربتها مقلتاه ،
والدم النازف قد اغلق فاه
فهو أعمى ،
وهو ابكـم ،
يلفظ الانفاس .. لكن كان يفهم..
النشيد الغامض المردوم .. يفهم ..
انه ابن الجزائر .

القاهرة

الحسانى حسن عبدالله